مستلزمات البحث الأسلوبي تنظيرا وإجراء:

دكتورة : طاطة بن قرماز
مخبر نظرية اللغة الوظيفية / جامعة الشلف

ملخص البحث: يواجه الطالب الباحث الكثير من الصعوبات المنهجية أثناء تحريره لمقال علمي في تخصص الدرس الأسلوبي ، وحتى يتمكن الباحث من الكتابة الإبداعية لابد من استيعابه لجلّ القضايا الإشكالية في الدارسة الأسلوبية من حيث ضبط مفهوم الأسلوب ، ثم التمييز بينه وبين مصطلح الأسلوبية ، ثم البحث في علاقة الأسلوبية بعلوم اللغة ، كما يسعى الباحث إلى البحث عن هوية الأسلوبية من حيث المنهج والنقد والنظرية والعلم ، للتوصل إلى حسم اختصاصها ، ولكي يتمكن الباحث من ضبط حيثيات الأسلوبية يحتاج إلى معرفة المراجع التي تساعده في الموضوع.

يحتاج الطالب الباحث في كتابته مقال علمي في تخصص الأسلوبية إلى أن يلّم بجوانبها النظرية والتطبيقية ، وخاصة الجانب التطبيقي الذي بات غامضا لتداخله مع التحليل اللساني ، وعليه أن يدرك هذه الإشكالية ، ويختار المنهج الأنسب لتحليل النصوص تحليلا أسلوبيا ، إذ يمكن للباحث أن يستعين بالمنهج الأسلوبي البنيوي وبمعاييره التي تثري تحليله ، ويتمكن من استخلاص جملة من السمات الأسلوبية شريطة أن يستوعب معايير تحليل الأسلوب .

الكلمات المفتاحية : الصعوبات المنهجية ، الأسلوب ، الأسلوبية ، المنهج ، النظرية ، النقد ، الإشكالية ، المعايير ، المراجع ، التحليل الأسلوبي.

abstract: The researcher faces a lot of methodological difficulties during the editing of a scientific article in the specialty of the stylistic lesson. In order to be able to write creatively, the researcher must be prepared for the problematic issues in the stylistic study in terms of controlling the concept of style and then distinguishing between it and the stylistic term. Stylistic relationship with language sciences, as the researcher seeks to search for stylistic identity in terms of methodology, criticism, theory and science, to reach a resolution of its competence and to enable the researcher to determine the stylistic reasons need to know the references that help him in the subject.

The researcher needs to write a scientific article in the stylistic specialty until he knows its theoretical and applied aspects, especially the practical aspect that has become obscure for its interplay with the linguistic analysis, and he should be aware of this problem. He chooses the most appropriate method for analyzing the texts in a methodical analysis. The researcher can use the structural method And its standards,

which enrich its analysis, and can draw a number of stylistic features provided that it absorbs the parameters of method analysis

Keywords: methodological difficulties, method, stylistic, method, theory, criticism, problematic, standards, references, stylistic analysis.

حدّا الأسلوب والأسلوبية :

قد يواجه الباحث إعناتا نفسيا حين يُقدمُ على كتابة مقال في الدرس الأسلوبي ، ولأن ملاك الأمر كله على فهم شأن الأسلوبية من حيث الاختصاص ، والموقع في تاريخ النقد الأدبي ، وعلم البلاغة وعلم اللسانيات ، كحقل من حقول علم اللغة ، ينبغي على الباحث استيعاب جلّ القضايا المتعلقة بهذه الدراسة المتعدّدة ، المتشعبة ، والتي من بينها فكّ الشفرة الموجودة بين مصطلحي : الأسلوب والأسلوبية لأنها مسألة قد تتحول إلى إشكالية عويصة ، إن لم يستفتهم الباحث جوهر التحاقل بينهما .

إن أفضل حلّ لفكّ ضفائر هذا الاعتياص الاصطلاحي والدلالي بين الأسلوب le style والأسلوبية la stylistique يكمن حسب رأينا في البتّ في نشأتيهما التاريخية أولا ثم في دلالة كل مصطلح منهما ، إذ يحتاج الباحث إلى الاهتداء إلى المراجع التي تعيله على تفهم الوضع التاريخي للأسلوبية ، وله أن يعود إلى ثلة من العقول الرائدة في مجال تتبع مسار تاريخ الأسلوبية ومنها جورج مولينيه Georges molinié: الأسلوبية la stylistique ، ترجمة : بسام بركة، وكتاب هنريش بليث Heinrich f. plett البلاغة والأسلوبية، stylistique rhétorique et ، ترجمة : محمد العمري ، وكتاب بيير جيرو الأسلوبية ترجمة : منذر عياشي ، وكتاب صلاح فضل علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، وكتاب دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث لأحمد درويش

تمرّس الباحثون المختصون على تدارس الأسلوبية من شأنها التاريخي ، واجتهدوا في البتّ في مسألة العلاقة بينها وبين الأسلوب ، وبهذا الاطلاع على حيثيات المصطلحين تتشكل لدى الباحث فكرة مؤسسة تحسم تاريخية مصطلح الأسلوب وظهوره في القرن الخامس عشر، وتاريخية مصطلح الأسلوبية الذي لم ير النور إلا في القرن التاسع عشر ، فمصطلح الأسلوب مصطلح أعمّ وأشمل من الأسلوبية ، وهو يتعلق بجميع المجلات الحياتية والعلمية ، أما مصطلح الأسلوبية فلا يبرح الدراستين اللغوية والأدبية .

فقد أثبتت الدراسات الحديثة الرائدة في مجال تدارس علم الأسلوب أن الأسلوب هو موضوع الأسلوبية[1] ، لأن الأسلوبية تسعى إلى إرساء مبادئ علم الأسلوب إرساء موضوعيا ، أما الأسلوب فيتضمن مفهوما تعبيريا تكوينيا يتمثل في الإعراب عن شخصية المؤلف ، إعرابا لغويا.

على الباحث أن يتحرّى مفهوم الأسلوب ، وعليه أن ينطلق في البحث عن مفهومه قناعة منه من أن منجز الأكاديمي الفرنسي Georges Buffon ، جورج بوفون discours sur le style هو أول مؤلف محّص تعريف الأسلوب ، لأن لهذا الأكاديمي الفضل الأكبر في تغيير المنحى المفهوماتي للأسلوب ، وعلى الباحث ألا يأخذ مبادرته أخذا سطحيا ، بل لابد من تقصّي دوافع هذا التعريف الذي منح الأسلوب ماهية فنّية مغايرة للتي تُعورف بها، ويحتاج الباحث إلى الاستدلال على قيمة هذا التعريف الذائع الصيت في كتاب Willy sandres فيلي ساندرس : نحو نظرية أسلوبية لسانية ، وكان هذا الباحث قد لملم شتاتا كبيرا من تعاريف الأسلوب تعريفا غربيا ، مترجمة من الألمانية إلى اللغة العربية من قبل المترجم : خالد جمعة ، و يمكن لطالب الأسلوبية بنظرة تمعينية أن يربط العلاقة الجوهرية التي توثّق تلك التعاريف بتعريفه الأصلي لجورج بوفون ،لاستنتاج بأن فيلي ساندرس يطمح إلى تأسيس نظرية أسلوبية تأسيسا عاما وشاملا من خلال الفصل الأول من كتابه .

وقف هذا الباحث الأسلوبي عند معالمها و بتّ في ماهية الأسلوب اللغوي ونوازعه الفردية والموضوعية ، وله الفضل يعود إلى إذكاء فطنة القارئ للوازع الذي حرّض جورج بوفون على مبادرته الحادثة في تعريفه للأسلوب تعريفا جديدا ، خالعا جبته الطبقية ، مزلزلا الفكرة القائلة بقيام الأسلوب على النزوع الطبقي ، وإن أحسن كتاب يمكن للباحث أن يستفيد منه في هذه المسألة ، كتاب : الأسلوبية لبيير جيرو pierre Guiraud ، ترجمة منذر عياشي ، سيُذهِبُ هذا الكتاب الكثير من الضباب عن طبيعة الاستجابة لمتطلبات عصر بوفون التي آثارها فيلي ساندرس ، وسيستفيد الطالب كثيرا من طرح بيير جيرو ، الذي ألمّ بالمسار التاريخي البلاغي للأسلوبية إلماما مفصلا ، بدءا بعجلة فرجيل[2] ، roue de Virgile .

ولكي يقع تطالب بين الباحث و الدرس الأسلوبي يستوجب عليه فهم معنى الأسلوب ، استزادة وتوسعا ، و استدلالا على معناه الجوهري من خلال ما حظّي به تعريف الكونت Georges Buffon

[2] ينظر بيير قيرو ، الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، ط: 2 ، مركز الإنماء الحضاري ، 1994 ص:152.

الفرنسي بشهرة عارمة استحوذ به على تفكير النقاد و الدارسين ، انبجس ميلاده الجديد عن منجزه القيّم : خطابات في الأسلوب : discours sur le style ، بمناسبة أول محاضرة ألقاها بتاريخ **1753** ، أثناء تكريمه يوم استقباله بباريس[3]، وجاء تعريفه على النحو الآتي: les faits et les découvertes),. transportent et gagnent même à être mises en œuvre par s'enlèvent aisément, des mains plus habiles. Ces choses sont hors de l'homme, le style est l'homme même. Le style ne peut donc ni s'enlever, ni se transporter, ni s'altérer)[4] ،

تلقف الدارسون نصّ بوفون بشغف شاغف وانكبوا على ترجمته ترجمات تفاوتت تفاوتا نسبيا وعلى الطالب أن يدرك حقّ الإدراك بأن الدراسة الأسلوبية تستلزم المعرفة باللغتين الفرنسية والإنكليزية ، كما أن الترجمة تستلزم فهم مقصود النّص المترجم ، و لا سيما في السياق الذي يأتي فيه .

يعدّ الناقد الأسلوبي عبد السلام المسدي أفضل مترجم للنّص البوفوني "حسب رأينا" ترجمة دقيقة تبعا لتمرّسه الأسلوبي تنظيرا وإجراء ، وتبعا لتثاقفه الحذّق في الموضوع ، من خلال مؤلفه الشهير : الأسلوبية والأسلوب ، وهو أول كتاب عربي فصّل الظاهرة الأسلوبية بشقيها : النظري والتطبيقي ، وتضمّن تعاريف غربية مترجمة وله كبير الفضل في ترجمة الأعلام والمصطلحات الأسلوبية ، واللسانية ، بالإضافة إلى تمكّنه من اللغة الفرنسية التي وسّعت رؤيته النقدية ، فقد جاء نصّ الترجمة كالآتي: " **إن من الهين أن تنتزع المعارف والأحداث والمكتشفات أو أن تبدل ، بل كثيرا ما تترقّى إذا ما عالجها من هو أكثر مهارة من صاحبها ، كل تلك الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان ، أما الأسلوب فهو الإنسان عينه لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه**"[5]، لا يمكن انتزاع الأسلوب من صاحبه عنّوة ولا تحويله أو نقله سرقة ، أو حتّى ترجمته أو سلخه ، أي لا يمكن تجزئته أو فصله عن منشئه فصلا تعسفيا ، إذ يجسد هذا التعريف الخصوصية الأسلوبية في التفكير والإنشاء والتعبير، و في طرق الآليات النّظمية وتحبير النّسوج السياقية وتوشيح الأنسجة اللغوية ، التي يتفرّد بها صاحبها ، فهي تحفظ له سمات التمايّز والتفاضل عن غيره من متعاطي التمرّس الأدبي ، ولابد من أن نقرّ بأن ترجمة عبد السلام المسدي لتعريف بوفون للأسلوب الأكثر دقة وتمثلا و موضوعية .

[3] discours sur le style; discours prononce a l académies française par de Buffon le jour de sa réception le 25 aout 1753

[4] Georges Buffon discours sur le style texte de l édition de l Abbe j. pierre librairie ch. Poussielgue. paris 1896 .p .6

[5] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ط:5 دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2005، ص: 54/53.

منح الطرح النقدي البوفوني تفهما حادثا لماهية الأسلوب ، إذ يغدو الأسلوب تبعا لهذا النزوع الطارئ مجانفا للانتزاع والنقل والسلخ مستميزا بطابع خاص ، أو كما اصطلح عليه Buffonبمصطلح الفردانية :la singularité [6] ، ويعني بها الانبصام الخصوصي المنتهج المسطر في مجموع العناصر اللغوية المستعملة في الإعراب عن الذات المبدعة ، من حيث توخيها لآليات نظمية مخصوصة تسعفها على ترجمة الأفكار وبلورتها باستخدام خاص للّغة ، إذ يمسي الأسلوب بالمفهوم البوفوني كبصمة الشخص الفردية الخاصة به دون غيره من الأشخاص ، لا تقبل المشاكلة و لا المطابقة ، لأن في ذلك تزييفا وتحريفا لصورة الأسلوب الأصلية.

وعلى الباحث أن يتتبع مجرى تشعب عروق الطرح البوفوني Buffon في بحر الدراسات الأسلوبية الغربية المترجمة والعربية ، فقد استأثر تعريفه الأسلوب بتأثر واسترعاء بالغيين من قبل رواد التنظير الأسلوبي الغربي ورواد الدرس الأسلوبي العربي الحديث ، تناقل دارسو الأسلوب مفهومه الذي ابتدعه الكونت بوفون ، فقد أفرد الباحث الأسلوبي الألماني sandres Willy عنوانا في كتاب نحو نظرية أسلوبية لسانية : تعاريف الأسلوب ، استهله بقوله : "...واللغوي الفرنسي بوفون هو أوّل من عرّف الأسلوب تعريفا نال قسطا كبيرا من الشهرة و الانتشار ، وحظّا أكبر من الفهم الذي تباين حينا وتطابق حينا آخر ، حيث قال : الأسلوب هو الشخص نفسه، le style est l homme même" [7].

يرى فيلي ساندرس أن الناقد الأسلوبي بوفون انطلق "...في هذا الموقف من إيمانه بأن الأعمال المتقنة كتابيا هي وحدها التي تخلّد وليس الخبرات والاكتشافات ، لأن الأخيرة لا تقع في دائرة سلطة الإنسان، **والأسلوب هو الإنسان نفسه ، لأنه لا يمكن أن يسرق أو ينقل أو يغيّر** ، وسوف يظلّ كاتبه مستحسنا ومقبولا في الأزمنة كلها ، إذا كان أسلوبه رفيعا وجميلا وعاليا"[8]، تباينت ترجمة نصّ Georges Buffon بين الدارسين الأسلوبيين تباينا نسبيا وعلى الطالب الباحث أن يتتبع الفروقات والاختلافات بين مترجمي النص البوفوني ، كما لا بد أن ننبه الباحث إلى فضل فيلي ساندرس Willy sandres في الكشف عن القيمة الدلالية لطرح Buffon وعن ما يعنيه الأسلوب الذي نافح عنه بشراسة ، والذي كما يبدو مقتصرا على الكتابة الرفيعة والجميلة ، العالية .

[6] ينظر: Georges Buffon المرجع السابق ، ص:6.

[7] فيلي ساندرس، المرجع السابق ،ص: 29.

[8] المرجع نفسه ، ص:29.

علما الأسلوب والأسلوبية :

أقرّ جورج مولينيه Georges molinie وبكل وضوح في مقدّمة كتابه: الأسلوبية la stylistique بأن الدراسة الأسلوبية تطورت بتطور الدراسات اللسانية وهيمنة المنهج البنيوي وكان تطور الدراسة الأسلوبية شاملا نوعا وشكلا وكما "وقد أخذ هذا التطور منحنيين اثنين : منحى القاعدة العلمية الصلة " المنهجية البنيوية " ومنحى الاستقلال في إطار علم متكامل يتعامل مع العلوم الأخرى معاملة النِدّ للنِدّ " " علم الأسلوبية "[9] .

تأتي هذه المسألة في صدارة الإشكالات الأسلوبية ، والتي تستلزم من الباحث فكّ خيوطها العنكبوتية التي تنسج حول الأسلوبية ، وكان الباحث فيلي ساندرس قد أثارها من خلال المترجم : محمود جمعة ، وهي مسألة في الغاية من الأهمية تثير جدلا بين الباحثين : علم الأسلوب ومصطلح الأسلوبية فيرى أن لعلم الأسلوب جانبين نظري وتطبيقي ، إلا أن السائد هو استعمال مصطلح الأسلوبية لأنها تشي باحتوائها للجانبين معا من غير تمييز بينهما ، فالباحث يرى أن نظرية الأسلوب ولأسباب توضيحية تستعمل للإشارة إلى علم الأسلوب اللغوي العام ، وتستعمل الأسلوبية للإشارة إلى كل من علم القواعد التطبيقية للأسلوب أي الآليات الإجرائية ، المتمثلة حسب رأي فيلي ساندرس علم الطرائق الأسلوبية المعيارية والوصفية ، كما بيّن الباحث حاجة نظريّة الأسلوب إلى الأسلوبية وكل منهما إلى الآخر لأن في رأي الباحث أن الظواهر الأسلوبية الحقيقية هي الأساس الذي يعتمد عليه في اكتمال بناء النظرية ، لأن الأسلوبية في نظره لا يمكنها أن تصف مقدرا من المواد اللغوية المجمعة وغير المتجانسة من غير أساس نظري تعتمد عليه .

و يأتي كتاب الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي في المرتبة الأولى بالقياس إلى مؤلفات البحث الأسلوبي العربي الحديث بلا منازع ، فقد جزم هذا الأخير بأن الأسلوبية نظرية لا تقبل الجدال أو المنازعة وكانت أدلته مقنعة إلى حدّ كبير من خلال تعليله لهذا الحكم ، فقد تمّ توضيح نظرية الأسلوبية بالنظر إلى موضوعها الذي هو الأسلوب ، فالأسلوبية تختص بدارسة السمات النوعية للأساليب الأدبية دارسة علمية وصفية ، وكل المناهج النقدية تحتكم إليها بحكم مادتها المتمثلة في الأسلوب ، ولنا أن نستدل بتخريج فيلي ساندرس الذي علّق على الكم الغزير في تعاريف الأسلوب والمختلفة ، يقدم في النهاية الأساس للوصول إلى نظرية أسلوبية شاملة ، وهذا الاختلاف في التصورات في مفهوم الأسلوب يومئ بكثافة الموضوع وغزارته .

[9] جورج مولينيه ، الأسلوبية ، ص: 7.

ماهية الأسلوب انطلاقا الانزياح :

كثيرا ما يعرّف الأسلوب بأنه انحراف وخروج عن المألوف وازورار عن المعيار ، وقد بادر عبد السلام المسدي إلى دراسة مصطلح الانزياح دراسة وافية ، فقدّم ضرائره الاصطلاحية ناعتا إياه **بالطفرة الاصطلاحية** ، كما تناول عبد الملك مرتاض مصطلح الانزياح من خلال كتاب نظرية البلاغة ، حيث بدأ بتوضّيح ترجمته في مصطلحات السيمائية باللغة الفرنسية l écart وفي اللغة الانجليزية gap[10] ، كما فضّل الباحث ذكر ثلاثة مصطلحات ترادف الانزياح وتنافسه في الماهية والغموض وهي : الانحراف ، الانتهاك ، ومصطلح الفجوة ، الذي أورده منذر عياشي من خلال القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، إلا أن عبد الملك مرتاض أبدى رأيه حول مقترح الفجوة من حيث رأه "ليس سديدا ولا موفقا ، ولا نحسب أن الفجوة مما كان يريد البلاغيون العرب والسيمائيون والأسلوبيون العربيّون ، إليه ، جميعا فلتترك الفجوة في معناه الذي وضعت له أصلا، لأنها لا تليق بهذا المفهوم الأسلوبي ..."[11] ، فالانزياح ذو منزع أسلوبي من حيث المفهوم من منظور الدارسين له ، وقد نال حظا وافرا من اهتمام الدارسين به ، لما له من تأثير توتيري للقارئ ، وتفعيلا للخاصية الأسلوبية ، ويمكن للطالب الباحث أن يكتب مقالا أو مقالات حول مفهومه وإشكالية معياره وهي القضية الأشد غموضا من حيث أعنت الباحثون أنفسهم في البتّ عن طبيعة المعيار أو القاعدة التي ينحرف ويزور الأسلوب عنها ، و ننبه الطالب بأن ميكائيل ريفاتر قد فهم الانزياح بشكل مخالف لمجايليه أو ممن سابقوه ، فقد أطلق عليه مصطلح السياق الأسلوبي ، الذي يُعرف بكسر الأسيقة المعجمية والنحوية والدلالية والبلاغية والعروضية .

إشكالية البحث الأسلوبي:

تعدّ كتابة مقال علمي في الدرس الأسلوبي مسألة تشغل تفكير الطلبة الباحثين تبعا لما يحتاج إليه الدرس الأسلوبي من تنويرات وإضاءات تنظيرية في الدرسين الغربي والعربي ، تساعد الطالب الباحث على استفهام جوهر الأسلوبية ، و سنحاول خلال بحثنا تبصير الطالب بالضوابط المنهجية والآليات التي يستلزم منه توخيها في كتابة مقالة علمية ، كتابة ممنهجة ، تحوز على سمات الإبداع والتميّز على المستويين التنظيري والإجرائي ، فإذا تناول الباحث مقالا يبتغي فيه عملا إجرائيا فإن أثناء خوضه مجال تشريح النصوص الأدبية "لاسيما الشعرية تشريحا أسلوبيا"، فقد تعترضه بعض الاعتياصات والممناعات المنهجية ، التي هي كامنة في كيفية التناول و في طريقة التحليل وخاصة في

[10] ينظر عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة ، ص:145.
[11] نفسه ، ص: 145.

إشكالاته المعرفية ذات المضائق الجمّة و التي نعني بها صعوبة تخيّر المنهج الأسلوبي الأنسب لتحليل النصوص أولا ، ثم صعوبة إسباغ هذا المنهج بسبغة علمية وصفية على تلك النصوص ، وهذا بالنظر إلى تعدّد المناهج وتباينها ،أولا و غياب نماذج تطبيقية في موضوع التحليل الأسلوبي ثانيا ، حيث ينسجم واقع الوظيفة الأسلوبية وغائيتها مع الخصوصية الإبداعية للخطاب الشعريّ وفق تحليل شمولي عميق للخطاب الأدبي تحليلا لا تفصل دوال النّص عن مدلولاته ولا شكله عن مضمونه .

يهدف كل مشروع رؤية بحث في الدرس الأسلوبي الإجرائي إلى الكشف عن الخواص الأسلوبية الشكلية للنص وعن ما وراء هذه الخصوصية التي يتفرّد بها نصّ شعريّ عن نصّ آخر ، فلطالما بقي البحث الأسلوبي التطبيقي معتّما،غامضا في إجراءاته التطبيقية بالنسبة للدارسين الباحثين في تخصصات الماستر والدكتوراه ، وهذا ما سجلناه بعد المعايشة الميدانية للتّأزّم في الموضوع ، لذلك سنقف عند هذه الإشكاليات بدءا من تخيّر موضوع المقال فإشكاليته التي ينبغي تحديدها ، ثم تحديد منهجية تناوله وصولا إلى أهمّ مراجع البحث الأسلوبي التي يستلزم على الباحث اعتمادها.

أهمية الجانب التنظيري في البحث الأسلوبي :

تتشعب الدراسة التنظيرية للأسلوبية وتتعدّد وجهات نظر الباحثين حولها ، لذلك ندعو الباحث المقبل على الدراسة الأسلوبية من جانبها التنظيري أن يعي القضايا الشائكة التي تكتنفها و نعني بها المسائل الجوهرية للأسلوبية من حيث إشكاليتي الهوية والوظيفة ، إذ يمكن للباحث أن يحرّر مقالا في هذا الموضوع على سبيل المثال ، من خلال طرح إشكالية الهوية محاولا البحث عن إجابات موضوعية لتساؤلات مهمة منها: هل نستفهم الأسلوبية انطلاقا من المنهج ؟ أم نفهمها انطلاقا من النقد ؟ أم هي تُعزى إلى نظرية أو علم ؟ أم تعزى إلى التلقي ، فهذه الأسئلة مركبة ظاهريا ، معقدة ، صعبة عُمقيا ، تتطلب البحث عن حقائقها في مظّان مؤلفات الدرس الأسلوبي ، أي على الطالب الباحث أن يستفهم ويستقتي وضع الأسلوبية المضطرب بالنظر إلى الطروحات التنظيرية المقترحة من قبل باحثيها .

يتحتم على الطالب الباحث أن يصول في أكناف الأسلوبية وشعبها ، وإنّ الذي يسعفه على ذلك هو تحلّيه بروح متفطنة ، متمعنة في تشعباتها النظرية ، فيكون مدمنا على طرق أسرارها حتى تتفتح أبوابها ، أي بمعنى أدق عليه أن يعتدّ بآلة الصبر والتريث والتثبت والاستقراء ، وهو يقوم بفلي مراجع البحث الأسلوبي فلّيا تكشيفيا مع إجراء موازنة أو مقارنة لمقارعة أفكار الدرس الأسلوبي ، وعلى الباحث قبل كل هذا أن يكون على دراية واسعة واطلاع واف بالمراجع التي يمكن الاستعانة بها و كيفية الاستنفاع منها وهو يبحث عن ضالته في عرصة الأسلوبية ، وإن أنسب مرجع يمكن اللجوء إليه في فهم هوية الأسلوبية

هو كتاب الأسلوبية Georges molinié **المتوفى : 2014** م ترجمة بسام بركة: باعتباره وظيفته ، مدرس الأسلوبية بجامعة السربون الفرنسية ، فقد عالج هذا المؤلف صاحب الاختصاص قضايا أسلوبية شائكة نذكر منها : الغائية الأسلوبية المتمثلة في دراسة الأدبية في مكوناتها الكلامية والشكلية ، ينعت هذا التعريف بالعملي لأنه في الواقع هو عبارة عن استكشاف منهجي موضوعي بتحديد مادتين هما : النّص الأدبي بالنظر إلى وظيفته الشعرية بتحليله إنتاجيا وتلقيا، أما المادة الثانية فيتعلق أمرها بوسائل البحث المستخدمة من حيث تفكيك الأداة والتجاذب التي تعمل الوظيفة الشعرية من خلالها موضوع دراسة النّص الأدبي[12] ، يمكن للباحث أن يكتب مقالا حول النشأة التاريخية للأسلوبية وصلتها بالبلاغة وعليه أن يكون ملما بمراجع هذا الموضوع ، حيث يُعزى لجورج مولينيه الفضل باعتباره مؤلفا أسلوبيا ناوش الموضوع ووقف عند حدود النظرية الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا ، ونضيف إليه مرجع الأسلوبية والبلاغة للمؤلف Heinrich f.plett ، هنريش بليث، ترجمة محمد العمري ، فقد بتّ هذا الباحث في مسألة تاريخية الأسلوبية البلاغية من حيث وضع حدّا للرؤية الضبابية التي تخيم على العلاقة التي تجمع العلمين بدلائليات موضوعية ، وقد سلّط كبير الضياء على التداخلات الوظيفية بين البلاغة والأسلوبية ، أو البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة ،انطلاقا من حكمه الختامي القائل بأن وظيفة البلاغة القديمة لا تتعدى العناية بإنتاج النصوص أما البلاغة الجديدة فقد تجاوزت حدّ الإنتاج إلى التحليل .

كما يمكن للباحث أن يفتش عن إشكالية الفرق بين شعرية البلاغة وشعرية الأسلوب لدى هنريش بليث باعتبار البلاغة الكلاسيكية تقف عند حدود الإقناع بواسطة الحجاج ، بيد أن شعرية الأسلوب تقوم بمعالجة أدبية النّص ، وتعدّ نظرية الأسلوب نظرية زاهدة في الأثر و التأثير من وجهة نظره الأسلوبية ، فشعرية الأسلوب عبارة عن مجموعة من الخصائص الملازمة للغة الجمالية [13] .

يمكن للباحث أن يتطرق إلى كتابة موضوعات حول علائقية الأسلوبية بالبنيوية مثلا، وهذا بالنظر إلى سهم جورج مولينيه بالقسط الأوفر في تبصير الدارسين بوظيفة الأسلوبية من حيث نافح عن بنيويتها بطبيعة مادتها[14]، وذلك لاشتغالها ببنية النّص اشتغالا شموليا استقصائيا للعناصر اللسانية المتعاضدة والمتراتبة علائقيا ، و تعالقيا.

[12] جورج مولينيه ، الأسلوبية ، ترجمة : بسام بركة ، ط:1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1999، ص: 33،34
[13] هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، ترجمة : محمد العمري ، .....
[14] جورج مولينيه ، الأسلوبية ، ترجمة :بسام بركة ، ص: 73.

إشكالية العلاقة بين اللغة و الأسلوب :

إنّ البحث في موضوع علاقة اللغة بالأسلوب بحث في إشكالية شاغلة لتفكير الباحثين من حيث حرّكتهم إلى الاهتمام بتدارسها ومنهم : ميكائيل ريفاتر Michael riffaterre ،و فيلي ساندرس ، ومن الباحثين العرب نذكر عبد الملك مرتاض ، تضاربت الآراء الأسلوبية حول هذه الجدلية ويمكن للباحث أن يستجمع مفاهيم الأسلوب بالاعتداد بكتاب فيلي ساندرس نحو نظرية أسلوبية لسانية ، قام هذا الباحث بمجهود كبير بمعية المترجم خالد جمعة في انتقاء أفضل التعاريف المتطابقة والمتباينة في فهم الأسلوب من حيث هو إجراء انتقائي ومن حيث هو إضافة وجدانية وبصمة شخصية، فقد تبنى تعريف بوفون Arthur Schopenhauer[1] لأنه تفهم الأسلوب كونه التعبير عن معالم الروح[2]، تُمتثل بفضله العوالم الخفية التي تختلج الذات الباثة أو المبدعة ، فتقع المصاقبة بين الفكر واللغة ، إذ تقف اللغة وراء الأسلوب وهو من يظهر حيويتها ويبرز أناقتها[3]." le langage exprime et que le style met en valeur" ، يتبدى دور اللغة الحاسم في التعبير كما يسهم الأسلوب في إبراز قيّم التعبير، ومن هنا تتكشف علاقة التلازم وخيوط الملازمة بين اللغة و الأسلوب ، وكان لعبد الملك مرتاض سهم كبير في منح الأسلوب تعريفا محددا لكيانه ، حين قال : "...الأسلوب هو مظهر من مظاهر الفنّ ، هو طريقة وضع اللغة في حال من الوظيفية غامرة بالعنفوان والحيوية والنشاط والعطاء...[4]" ، إذ تنشأ بين الأسلوب واللغة علاقة تلازم ، يسهم الآخر في إبراز الثاني وينزع أحدهما إلى الآخر لإتمامه ، وإذا كانت اللغة هي شكل الإنسان الخارجي فإن الأسلوب هو باطنه وجوهره ، والباطن هو ما ينبصم وجه الشخص بملامحه .

تستظلّ اللّغة بظلّ الأسلوب وتقف خلفه ، وهي مادة اللسانيات ومادة الأسلوب في ذات الوقت ، "الأساليب هي لون من اللغة في اللغة "[15] ، وقد يطرح الباحث إشكالا عن طبيعة التحليل الأسلوبي اللساني، فحينما تنشغل الأسلوبية بتحليل لغة نصّ ما فإنها تستند إلى عدة منهجية لسانية تهبها اللسانيات إياها، تتمثل العدة في استعارتها لمحوري الاختيار والتركيب ، فبواسطة الاختيار من إمكانات معجمية ونحوية وبلاغية ، ووفق توخي مقامات وسياقات المطابقة للوسائل اللغوية المنتقاة ، يتحدّد المسار اللساني للأسلوبية " والأسلوب كأسلوب لغوي يستند على الأغلب إلى آلية اختيار مميزة ، يجب أن توصف نواظمها بوسائل لسانية تجعل الأسلوب بحاجة إلى اهتمام خاص من اللساني نفسه "[16] ، وغاية الأسلوبية الكشف عن شعرية اللغة بالنظر إلى الوسائل اللغوية المستعملة والتي تعرف بالكفاءة الأسلوبية ، فكل

[15] ينظر : فيلس ساندرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ص: 43.
[16] نفسه ، ص:66.

شعر لغة وليس كل لغة شعر[17] ، تُمثل الأسلوبية وظيفة شعرية بعد وظيفتها وتكاد تكون الوظيفة الأسلوبية وظيفة شعرية ولا فرق بينهما مادام المنزع جماليا لكل منهما ، ويمكن للباحث أن يستند إلى كتاب معايير تحليل الأسلوب لميكائيل ريفاتر ترجمة حميد لحميداني ، فقد بتّ هذا المؤلف في علمية الأسلوبية من حيث وقف عند وظيفة الأسلوبية المتمثلة في دراسة الملفوظ اللساني من جاني التشفير وفكّ التشفير.

ومن المسائل التي تثير فضول الباحث وتدفعه للبحث هي حقيقة التحاقل الوظيفي بين اللسانيات والأسلوبية ، وكان Michael riffatterre ميكائيل ريفاتر قد أسهم في توضيح وتبسيط هذه الصلة التعالقية بين العلمين وأوضح فضل اللسانيات على الأسلوبية من حيث وصفها للنصوص الأدبية وفق طرق مستوحاة من صميم معين العلم اللساني، فالأسلوبية "...تدرس داخل الملفوظ اللساني تلك العناصر المستخدمة لفرض طريقة تفكير المسنن encodeur على مفكك السنن décodeur بمعنى أن تدرس فعل التواصل لا كنتاج خالص لسلسة لفظية ولكن باعتباره حاملا لبصمات شخصية المتكلم وملزما لانتباه المرسل إليه"[18] ، ومن هذا المنطلق تتولى الأسلوبية أداء وظيفة تواصلية تتبع درجات الشحن العاطفي للمتكلم الذي يظهر مردوده التأثيري على المتلقي.

يتجلى التعايش الوظيفي بين الأسلوبية واللسانيات في توخي الأسلوبية آليات لسانية تعتمدها في التحليل الأسلوبي للنصوص الأدبية ولا سيما استعانة الأسلوبية بمحورين لسانيين وذلك للوقوف عند علمية الأسلوبية ووصفيتها ودقة تعاملها مع النصوص الأدبية :

<u>الأسلوبية بين الزوال والانتعاش :</u>

يستلزم هذا الموضوع بحثا جادا فيه لأنه جانب مهمّ في تفهم شأن الأسلوبية التي عاشت حالة من التأرجح بين الزوال والوجود في الفترة الممتدة بين 1975/1968 ، لكنها حضورها كان خجولا في بعض الدراسات الأدبية ، بيد أنها ما فتئت الانتشار والظهور بتهيمن المنهج البنيوي والدراسة اللسانية ، وللباحث أن يستفيد من تداعيات هذا الإشكال فيكون وازعا لتحريضه على البحث عن وضع الأسلوبية وله أن يستثمر عقل جورج مولينيه في معالجته لمسألة موت الأسلوبية وانتعاشها وتبعيتها وتأزمها من حالة التلازم التبعي لعلوم أخرى كاللسانيات وعلم النفس .

[17] ينظر :فيلي ساندرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ص: 66

[18] ميكائيل ريفاتر ، معايير التحليل الأسلوبي ، ترجمة : حميد الحمداني ، منشورات دراسات سال ، دار النجاح الجديدة البيضاء ، ص:66.

لعب جورج مولينيه دورا كبيرا في فضح وضع الأسلوبية و انتعاشها ومعاودة ظهورها على الساحة النقدية ، من حيث برز انتعاشها مع ظهور اللسانيات البنيوية ، وكذا قيامها بدور أعاد لها **تسلطنها الوظيفي** الذي تمثل في ما يعرف بنقد النسبة[19] ، critique d attribution والاستعانة بها في تثبيت أبوة الأعمال الأدبية لنصوص ظهرت في القرنيين 17 و18 وتم نسبتها لمؤلفيها الأصليين بعد أن كتبوا مؤلفاتهم بأسماء مستعارة خشية من الرقابة وتفلتا منها ، فكان لجورج مولينيه الفضل الكبير في فضح دور الأسلوبية من حيث عملت على استرجاع نسبة النصوص وتثبيت هوية الأعمال الأدبية وفق منهج تدقيقي تحقيقي ، " يتم البحث بطريقة بوليسية في عدد من الأعمال الأدبية الأخرى التي تنتمي إلى الفترة نفسها ، وذلك لرؤية ما إذا كان ممكنا أم مستحيلا أن نكتشف تماما المخطط الأسلوبي نفسه .."[20]

من القضايا الكبيرة التي أثارت تفكير الباحثين والتي على الطالب الباحث أن يدرك تشعب مسالكها أن الأسلوبية واجهت خطر الخصوصية من حيث إمكانية اعتباره منهجا أم نقدا أم علما أو نظرية ، لذلك ارتأينا عرض هذه الإشكالات من منطلق تبويبي وذلك للوقوف عنها تباعا ، وكي نضع الطالب الباحث في صورة هذا الإشكال ، حتىّ يتمكن من استغلاله واستثماره أثناء تحريره مقالات علمية للكشف عن حيثياته الأسلوبية .

إشكالية تبويب االأسلوبية:

التبويب المنهجي:

خضعت الأسلوبية لتفريعات منهجية لذلك كثيرا ما نصادف دارسي الأسلوبية ينعتونها بالمنهج لأنها تختص بتحليل النصوص الأدبية وفق مناهج تحليلية متابينة منها : المنهج التأثيري والمنهج النفسي والمنهج البنيوي والمنهج الإحصائي ، وحتى يستطيع الباحث أن يستوعب معاييرها ومرتكزاتها، يحتاج إلى مراجع تزيده عمقا و مثاقفة في الموضوع ، وذلك بحسب قيمتها واختصاصها في الموضوع ، و ليستعن بكتاب جورج مولينيه الذي يتصدر جميع مراجع البحث الأسلوبي ويليه ، كتاب بيرجيرو: الأسلوبية ، وكتاب صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءته ، كتاب أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، وكثيرا ما يقع الطالب ضحية المغالطات المنهجية لجهله بذوي الاختصاص من أعلام تلك الاتجاهات ومرتكزاتها ، فينهل تلك المعلومات من غير المختصين بها ويلهث وراء كتب متطاولة نكرة تأخذ المعطيات من مصادرها ولا توثّقها ، بالإضافة إلى تزييف حقائقها جهلا بمتصوراتها لا عمدا ،

[19] جورج مولينيه ، الأسلوبية ، ص: 66

[20] نفسه، ص:70.

لذلك على الطالب أن يعي تمام الوعي أدب الأسلوبية ويراعي المقامات والأسماء التي يعتمدها ويعتدّ بها. .

إننا وبحكم ممارستنا لهذا الاختصاص نزكي جهود جورج موليينه وندعو الطالب الباحث لاتخاذ كتابه سبيلا في دارسة مناهج الأسلوبية بدءا بمنهج بالي التعبيري ، والذي وسمه بأسلوبية التأثيرات stylistique des effets[21] فقد فصّل وأسهب في شرحه وإبراز خطواته للدارسين ، كما فصّل في منهج ليو سبتزر النفسي واعتبره عالم الأسلوبية في الصميم ، وشرح دور ريفاتر في تناوله الأسلوبية باتجاه المتلقي وعدّه رائد المقاربة البنيوية في فرنسا ، ويأتي كتاب بيير جيرو في المرتبة الثانية من حيث قدّم شروحات وتعليقات مفصّلة على الثالوث المنهجي الأسلوبي مع إضافات توضيحية تعين الباحث على هضم الثالوث الأسلوبي.

التبويب النّقدي:

قد يتساءل الطالب الباحث عن طبيعة الأسلوبية ، وهل يمكن تصنيفها كظاهرة نقدية ؟، وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن الاستعانة بكتاب pierre Giraud بيير جيبرو الذي وقف عند شرح منهج leo spitzer ليو سبتزر النفسي ، هذا الأخير أخذ على عاتقه مجازفة اصطلاحية معتبرا الأسلوبية نقدا ظريفا وقد يحتاج الباحث إلى هذا الاصطلاح لفكّ غوامض الغائية الأسلوبية المتأرجحة بين العلمية والجمالية ، ولنا أن نجتهد ببعض الاجتهاد في تحليل هذا الإطلاق ، فالنّقد بطبيعة وظيفته يحكم على النصوص بالاستملاح أو الاستشيان ، و يدرس الأسباب النفسية والاجتماعية وكلّ الظروف المحيطة بالكاتب ، ثم يحكم على النّص ، وكلّ هذا ليس بمعزل عن الأسباب الشخصية "تذوق النّص"، تتصدر هذه الأسباب الآليات التي يلج الناقد بها إلى مظّان النصوص ، إلا أن الأسلوبية بحكم وظيفتها المشروعة لها تقف عند حدود دراسة جمالية الأقاويل الشعرية و النثرية ، فتنزع منزعا جماليا تأثيريا ، وتبحث عن ما وراء الخصوصية التعبيرية بالوقوف عند مسوّغات تأثير الأثر ثم البحث في التأثير الكلام في المتلقي ، تحتكم الأسلوبية إلى الحدس الأسلوبي أو الحدس اللّغوي ، فهو إحساس موثوق به تجاه رقة المنهج اللّغوي للكاتب[22] ، **يتوج هذا الحدس بالفطرة أولا و بالكفاءة أولا** ، كفاءة القارئ على تمييز الجوانب الجمالية لكاتب ما تمييزا موثوقا بأسلوبه عن قناعة، .

[21] السابق، ص: 60.
[22] ينظر فيلي ساندرس ، المرجع السابق ، ص: 196.

تجمع الأسلوبية بين النّص ومتلقيه وبهذا تضم الأسلوبية ثالوثا أسلوبيا : النّص والقارئ والمؤلف ، وهي بهذه الغائية تتجافى عن محاكمة النصوص لكنها تعكف على رصد الأجمل والمؤثر في نفوس المتلقين وهي بهذا تجمع بين النقد والجمالية فتغدو نقدا رقيقا ظريفا .

التبويب العلمي والنظري :

كثيرا ما يصادفنا ونحن نقلّب حرث منظّري الأسلوبية، وقد انشغلوا انشغالا بإثبات ماهيتي الأسلوب والأسلوبية ، ونحن نلحظ توصيفها مرة بالعلم وأخرى بالنظرية ، وقد أصرّ جورج مولينيه في مقدّمة كتابه إصرارا عميقا على توضيح ما يتضمنه كتاب الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة ، قائلا:" إنه نظريّة حول الأسلوب وحول الأسلوبيّة في الوقت نفسه ، نظريّة تُعرض هنا من خلال توجّهين كبيرين للأسلوبية هما : من جهة دراسة الخصائص الشكلية لكلّ خطاب ، أيا كان هذا الخطاب ، ومن جهة أخرى ، دراسة تخصُّصية لنوعيات لغوية وخصائص متميّزة تتعلق بالخطاب الأدبي من حيث هو كلام فنّي"[23] ، نعت جورج مولينيه الأسلوبية بالنظرية ، وهذا انطلاقا من الموضوعات التي تضمنّها كتابه ، نذكر منها : اللسانيات والأسلوبية ودراسة الخطاب الأدبي ، علم تراكيب الجمل ، وقدّ خصصه لشرح منهج شارل بالي ، لسانيات القول ، البلاغة والأسلوبية ، يحدّد معنى الأسلوب بالنظر إلى وظيفته الواصفة للأسلوب الأدبي في الأعمال الفنّية الشعرية ، من خلال الاستعمال اللّغوي الشّاذ والتي مهّدت الطريق أمام بزوغ المفهوم العام للأسلوب بتوصيفه خروجا على المعيار، وهذا يعني أن الأسلوب يظهر في اللغة الفنّية الشّاذة المُزورّة عن اللّغة المعيّرة ازورارا، وقد أطلق ch. .Bruneau تعريفا خاصا بالأسلوبية من حيث اعتبرها "علما خاصا بالشواذات، la science des écarts"[24] .

تعدّ الأسلوبية في نظر بعض دارسيها وعلى رأسهم عبد السلام المسدي : " ... منهجا علميا لسانيا في طرق الأسلوب الأدبي ،" فهي إذن نظرية شمولية فيه من حيث إنها تحدده وتضبط السبل العلمية لتحليله اختباريّا كما أن الذي لا ينازعنا فيه أحد هو أن كل نظرية نقدية في الأدب تقتضي الاحتكام إلى مقياس الأسلوب باعتباره المظهر الفنّي الذي به قوام الإبداع الأدبي ، وهذا المعطى هو صورة لحتمية حضور الظاهرة اللسانية في الحدث الأدبي ..." [25] ، يجمع هذا الطرح بالإطلاق المنهجي العلمي اللساني والنّظري للأسلوبيّة ، وهذا ما يجعلنا نسلّم بهذا الإطلاق الذي ألفيناه متناثرا في كتب الدرس الأسلوبي الغربية المترجمة .

[23] جورج مولينيه ، الأسلوبية ص: 6.
[24] : فيلي ساندرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ص:36.
[25] عبد السلام المسدي ، المرجع السابق ، ص: 87.

إن أهمّ كتاب يمكن للباحث الاستناد عليه في تفهم الأسلوبية كنظرية هو كتاب فيلي ساندرس المعنون ، بـ : نحو نظرية لسانية أسلوبية ، وقد تضمّن مقدّمتين للمترجم خالد جمعة وللمؤلف ، أما مقدّمة المؤلف فجاءت لتبين مناقشته لأسس الأسلوب اللغوي وما يرتبط بها من مواقف واتجاهات حديثة التي تتابين أحيانا وتتطابق أخراة و ذلك تقصدا من المؤلف رسم خطوط عامة تفضي إلى نظرية أسلوبية شاملة[26] ، فالكتاب حسب رأي صاحبه عبارة عن عرض مشروع نظرية قبل الوصول إلى مقولات أسلوبية ثابتة عن مجالات الأسلوب كلها .

التبويب الجمالي :

يعرف الأسلوب بداهة بطريقة التي يعتمدها المؤلف في تحرير أفكارها كتابيا ، كما يعرف لدى ساندرس بأنه إضافة وجدانية للتعبير ، وقد بادر Charles Bally مؤسس الأسلوبية الحديثة إلى القول بالوجدان الأسلوبي ، فأسلوبية بالي تدرس صيغ التعبير في لغة الأثر بناء على مضمونها المعرب عن الإحساس بواسطة اللّغة ، لذلك يعدّ الأسلوب عملا لغويا وجدانيا أداته اللغة ، كما يعدّ مبالغة ذات طبيعة تعبيرية تأثيرية أو جمالية تضاف إلى المعلومة المنقولة بالتركيب اللغوي من دون تغيير المعنى[27].

تأرجح وضع الأسلوبية الساحر بين المنهج والنظرية والعلم والنّقد والجمال ، بيد أن الذي يقف عند معالمها الجوهرية ، وينظر إلى تفرّعها من علم اللسانيات يلفي أن علاقتها بهذا العلم يحيل على سبك ونسج اللغة وليس بالمفهوم الذي يحيل على صرامة العلم ووصفيته ، لذلك يفهم الأسلوب بأنه " نقدي جمالي معقد مركب ، وهو في تصورنا يجب أن يعتزي إلى علم الجمال ، أو إلى النقد الجمالي، أكثر مما ينبغي أن ينتمي إلى اللسانيات ... ذلك بأن اللسانياتي عالم باللغة ، لكنه ليس عالما بالأدب..."[28]، ويمكن لنا أن نشاطر رأي عبد الملك النقدي من جهة نفي الصرامة عن الأسلوبية ، لأنها تحمل لواء الجمال ، الذي يتنافى مع صرامة العلم ودقته .

الجانب التطبيقي في البحث الأسلوبي :

إنّ الاعتقاد المغلوط والسائد للأسف هو هيمنة التحليل اللساني على تفكير الباحث واعتباره تحليلا أسلوبيا بحتا ، وهي مغالطة كبيرة تجرّد الأسلوبية من وظيفتها وماهيتها الجوهرية ، فالأسلوبية بمنهجها الشمولي تتحاشى فصل شكل النّص عن مضمونه ، ثم تدرسه ككل كامل ، إذ تتحاشى تفكيكه إلى

[26] ينظر فيلي ساندرس ، نفسه ص: 16.
[27] ينظر :فيلي ساندرس ، ص: 34.
[28] عبد الملك مرتاض ، الكتابة من موقع العدم ، ص: 101.

مستويات : مستوى تركيبي/ دلالي/ صوتي، فقد يضطرّ الباحث إلى تكرير العينة المحلّلة عبر كل المستويات المقترحة، لذلك يستلزم التحليل الأسلوبي التأويل الأدبي الجمالي الذي يأتي إلى جانب التحليل اللساني، تبعا لهذا المسلك ، يقف إجراء التحليل اللساني والتأويل الأدبي الجمالي جنبا إلى جنب في إطار الأسلوب الفنّي[29].

إنّ أنجع طريقة لتحليل الأسلوب في تقديرنا هو اعتماد جميع تلك المستويات في العينة الواحدة وبهذا يكون المحلل قد ألمّ بتشريح العينة تشريحا تفكيكيا تفتيتيا ، كما أننا نشجع الطلبة الباحثين على اعتماد التحليل الأسلوبي البنيوي لرائده ريفاتر ، ونحسبه أنسب منهج لتحليل النصوص لابتعاده عن الانطباعية والذاتية وفق معايير أسلوبية جمالية من خلال رصد كسور التسييقات الأسلوبية ، لذلك يستلزم من الباحث الإلمام بمعايير تحليل الأسلوب وفهم فحواها ليتمكن من تجريبها وتفعيلها بتعقلن وتعلمن على النصوص الأدبية لاختبار مفعولها الأسلوبي التأثيري.

تعدّد مناهج البحث الأسلوبي :

يُعدُّ المنهج الأسلوبي البنيوي الذي يمثله Michael riffaterre رائد الأسلوبية السياقية ، المنهج الأقرب إلى تحليل النصوص الشعرية تحليلا ذريا –حسب تقديرنا –و من خلال تجربته على نصوص شعرية عمودية وحديثة ، يساعد هذا المنهج على تفكيك البنى التركيبية والإيقاعية للنّص تفكيكا أسلوبيا بنيويا جماليا ، انطلاقا من مبدأ شمولي دون فصل شكل النّص عن مضمونه ، يتمّ ذلك ويُسعى به إلى التحقّق دون إهمال أي جزئية منه عملا بالمبدأ الأسلوبي القائل: لا **عارض في النص** مادامت الإجراءات الأسلوبية تواتر عبر النص الشعري ، تتموضع فيه تموضعا يستوجب التمحيص والتكشيف عن سياقاته الأسلوبية من حيث رصد تفكيكها وقطعها وتحديد تعارضاتها السياقية ، إذ تتحدد الكسور السياقية الأسلوبية بناء على أساليب غير مألوفة تتصادم مع أساليب مألوفة من مثل الأساليب التالية: التكرار / النحت/ التضاد/ الاستعارة أو الانزياح بأنواعه: المعجمي والدلالي والايقاعي والتركيبي/ التناص/ الرمز .

تستقصى تضافرات النّص الأسلوبية المتراكمة السمات النّوعية، فتشتغل فيما بينها أسلوبيا مشكلة إركامات أسلوبية تحمل جميعها إجراءات أسلوبية تستثير ذوق المتلقي الدائب على تلذّذ الجمال ، فيكون ذلك التكشيف المَقُول به انطلاقا من القيمة الأسلوبية للوحدة اللغوية الصغرى وتموقعها في الجملة ، أو البيت الشعري وصولا إلى التأثيرات الأسلوبية المتعددة المتعاضدة في النّص الشعري كلا متكاملا.

ومثلما نُعتت الأسلوبية في الآراء النقدية الأدبية السابقة على أنها نقد أدبي ظريف بمعنى أنها تنهل

[29] ينظر فيلي ساندرس ،المرجع السابق ، ص: 67.

من الوجهتين ، الوجهة الجمالية التي يحتكم إليها **إلى الحدس الأسلوبي** و الوجهة العلمية الوصفية ويحتكم إلى تجميع الأدلة الأسلوبية التي تثبت صحة الحدّس ، فإنّ الممارسة النقدية خلال هذا المنهج تقف عند حدود جماليات القول الشعريّ و لا تبتغي غاية سواه .

متطلبات التحليل الأسلوبي :

يستلزم التحليل الأسلوبي كيفيات وطرائق تحليلية لبنيات العناصر اللسانية النّصية، ليكون التحليل أسلوبيا ، وعلى الطالب الباحث الذي يختار موضوعا في التحليل الأسلوبي أن يبدأ بتحليل النّص من عنوانه ، ويدقّق في اختياراته المعجمية والتركيبية ، ويحتاج إلى الاستدلال في تحليله إلى ما قاله بلاغيونا ، ووقفوا عنده في إظهار أسلبة المبادي والمطالع ، أي يستوجب على الطالب أن يجمع بين التحليل وما يدعم رأيه من شواهد بلاغية وأسلوبية ، فيكون التناول من حيث صيغ بصيغة المفرد،أو الجمع ، أو النكرة أو المعرفة ،أو الاستفهام ... ، فيقف ليؤول العنوان ويسبغه بسبغة أسلوبية ، على سبيل المثال :

لا يمكن للباحث أن يقرأ عنوان قصيدة للشاعر محمود درويش قراءة عجلى، دون أن يأبه لصياغته الأسلوبية : فحين نقرأ : **عيون الموتى ، على الأبواب**[30] ، نستخلص أن الشاعر يتخذ من عنوان القصيدة مطيّة أسلوبية تبعا لأسلبته الإغرائية ، فقد هزّ به إثارة السامع و جعله يتساءل عن عيون لا تعرف النور ولا تبصر قطّ ، أوعن عيون توقف بصرها بتوقف نبض أفئدتها ، وإننا حين نتثبت عند العبارة الشعرية فإننا نستخلص حدثها الأسلوبي، الذي شكّل تقويّة أسلوبية ، وقد وقع التسالب في العنوان من جهة تصادم وتعارض عنصرين لسانيين الأول مألوف عادي والثاني خارق طارئ ، لأنه " إذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى ، الحلو اللفظ ، التام البيان ، المعتدل الوزن ، مازج الروح ولاءم الفهم وكان أنفذ من نفث السحر ... وأشد إطرابا من الغناء "[31]، وإذا توافرت هذه الشروط الابداعية في الشعر ، نال حظّا من الرضا واللحمة

وقد أدى العنوان: عيون الموتى على الأبواب وفق هذا المسلك التعبيري إلى حدوث إجراء أسلوبي تمثّل في استخدام عنصر التضاد المضمر من حيث أوكل البصر إلى غير المبصرين ، بمجيئه على غير ما نتوقعه ، فجعلنا بصياغته غير المتوقعة نقف موقف التعجيب والاستغراب ، فكسر المعتاد يفجئ النفس ويغبطها.

[30] محمود درويش ، ديوان محمود درويش، مج:1، ط:6، دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، 1978،ص:345.

[31] ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، توزيع منشأة المعارف الاسكندرية ، ص: 550.

ثمّ يعكف الباحث على قراءة القصيدة عشرات المرّات و يمحّص أدواتها الأسلوبية ، وفي وسائلها اللّغوية ، ليترصد الخاصية الأسلوبية لّلغة الشاعر، لأن الأسلوب ظاهرة ملازمة للغته ، ويقف عند محوري الاختيار والتركيب ليدرس الخيارات المعجمية والنحوية والبلاغية و الإيقاعية، في العينة الشعرية أو النثرية الواحدة ، والتي من شأنها خدمة الوجهة الأسلوبية للقصيدة المدروسة ، ليختبر درجتي التصعيد والتوتير الأسلوبيين فيها، فالأسلوبية بنيوية بطبيعة مادتها وفق رأي المنظّرين الأسلوبيين الغربيين ، تُستقى طرائق تحليلها من علمي اللسانيات والبلاغة للبنى النّصية وتصيّرها إلى آليات أسلوبية بنهجي العلمية والوصفية ، تتحقق بها غايات جمالية تأثيرية.

1: بيير قيرو ، الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، ط: 2 ، مركز الإنماء الحضاري ، 1994

2: Buffon discours sur le style texte de l édition de l Abbe j. pierre librairie ch. Poussielgue. paris 1896

3: عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ط:5 دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2005.

4: جورج مولينيه ، الأسلوبية ، ترجمة : بسام بركة ، ط:1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1999.

5: هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، ترجمة : محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999.

6: ميكائيل ريفاتر ، معايير التحليل الأسلوبي ، ترجمة : حميد الحمداني ، منشورات دراسات سال ، دار النجاح الجديدة البيضاء.

7: ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، توزيع منشأة المعارف الاسكندرية .

8: محمود درويش ، ديوان محمود درويش، مج:1، ط:6، دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، 1978.

9: فيلي ساندرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ترجمة : خالد محمود جمعة ، ط:1، دار الفكر بدمشق ، سورية ، 2003.

10: عبدالملك مرتاض ، الكتابة من موقع العدم ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2003.